تهذيبهم للخلق والخالق وصفهم الله تعالى انهم مع ذلك خائفون وجلون
وهي الصفة الرابعة بقوله تعالى والذين يقولون ربنا
اي ايها المحسن الينا اصرف عنا عذاب جهنم قال ابن عباس يقولون في
سجودهم وقيامهم هذا القول ثم علل سؤالهم بقوله تعالى ان عذابها كان
اي كونا جبلت عليه غراما اي هلاكا وخسرانا ملحا لازما لا ينفك عنه كما
قال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه
الغريم لملازمته والحاجة فهم مبتهلون الى الله تعالى في صرف العذاب
عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرارهم احوالهم
ولما ثبت عنهم هذا الوصف قوله تعالى انها ساءت اي بئست
في هي كل ما يحصل منه سوء وهي في معنى بئست في جمع المذام
مستقرا اي موضع استقرار ومقاما اي موضع اقامة تنبيه
ساءت في حكم بئست كما مر ففيها ضمير مبهم يفسره مستقرا
والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا
الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان
تكون ساءت بمعنى احزنت ففيها ضمير اسم ان ومستقرا حال
او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان
يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم ولما ذكر تعالى اقوالهم
وافعالهم اتبع ذلك بذكر انفاقهم وهو الصفة الخامسة بقوله تعالى
والذين اذا انفقوا اي للخلق او الخالق في واجب او مستحب او مباح
لم يسرفوا اي لم يجاوزوا الحد في النفقة بالتبذير فيضيعوا
الاموال في غير حقها ولم يقتروا اي لم يضيقوا وكان اي انفاقهم
بين ذلك اي الاسراف والتقتير قواما اي وسطا تنبيه
اسم كان ضمير يعود على الانفاق المفهوم من قوله تعالى انفقوا وخبرها
قواما وبين ذلك معمول له وقيل غير ذلك وذكر المفسرون في الاسراف
والتقتير وجوها احدها قال الرازي وهو الاقوى وصفهم
بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
اذ يقال ما عال من اقتصد وسال رجل بعض العلماء ما البناء الذي لا سرف
فيه قال ما سترك من الشمس واكنك من المطر قال فما الطعام
الذي لا سرف فيه قال ما سد الجوعة قال فما اللباس الذي لا سرف فيه
قال ما ستر عورتك وادفاك من البرد ثانيها وهو قول ابن عباس
الاسراف النفقة في معصية الله تعالى والاقتار منع حق الله تعالى
وقال مجاهد لو انفق احد مثل جبل ابي قبيس ذهبا في طاعة الله

لم يكن سرفا

لم يكن سرفا ولو انفق صاعا في معصية الله تعالى كان سرفا وقال
الحسن لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن ما ينبغي وانشدوا
ذهاب المال في حمد واجر • ذهاب لا يقال له ذهاب •
وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير
وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه
ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء
بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعد لهذا المقام فسكت
عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فساله عن
نفقته واحواله فقال النفقة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في
هذه الاية فقال لابنه يا بني اهذا ايضا مما اعد وثالثها السرف مجاوزة
الحد في التنعم والتوسع في الدنيا وان كان من حلال لانه يؤدي الى الخيلاء
وكسر قلوب الفقراء فكانت الصحابة لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة
ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد
جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم
من الحر والبرد وقال عمر بن الخطاب كفى سرفا ان لا يشتهي الرجل
شيئا الا اشتراه فاكله وقرا نافع وابن عامر يقتروا بضم التحتية
وكسر الفوقية من اقتر وابن كثير وابو عمرو بفتح التحتية وكسر
الفوقية والكوفيون بفتح التحتية وضم الفوقية ولما ذكر ولما ذكر
تعالى ما تحلوا به من اصول الطاعات اتبعه بذكر ما تخلوا عنه من
امور المعاصي التي هي الفحشاء والمنكر وهي الصفة السادسة
بقوله تعالى والذين لا يدعون اي رحمة لانفسهم واستعمالا للعدل
مع الله اي الذي اختص بصفات الكمال الها آخر اي دعاء جليا
بالعبادة ولا خفيا بالرياء ولما نفي عنهم ما يوجب قتل انفسهم
بخسارتهم اياها اتبعه نفي قتل غيرهم بقوله تعالى ولا يقتلون
النفس رحمة للخلق وطاعة للخالق ولما كان من الانفس ما لا حرمة
له بين المراد بقوله تعالى التي حرم الله اي منع من قتلها الا بالحق
اي بان يعمل ما يبيح قتلها ولما ذكر القتل الجلي اتبعه الخفي
بتضييع نسب الولد بقوله تعالى ولا يزنون اي رحمة للمزني
بها ولاقاربها ان تنتهك حرماتهم مع رحمته لنفسه على ان الزنا
جار الى القتل والفتن وفيه التسبب الى ايجاد نفس بالباطل كما ان
القتل تسبب الى اعدامها بذلك وقد روي في الصحيح عن عبد الله بن
مسعود انه سال النبي صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم وفي رواية
اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل

Copyright King Saud University